﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾ [المائدة: 85]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مُناسبةُ هذه الآية لما قبلها واضحةٌ بيّنةٌ؛ فهي في المثُوبة وحُسن الجزاء، وهي الجنّات الّتي تجري من تحتها الأنهارُ. هذه المثُوبة مُسبَّبٌ من مُسبّبات إيمانهم، ونتيجةٌ لدُعائهم بأن يَكتُبَهم المولى الكريمُ معَ الشّاهدين، ويحشُرَهم معَ الصّالحين، فاستجاب اللّه العظيمُ دُعاءَهم وقال: "جَزَيتُ هؤُلاء القائلين بما وصفتُ عنهم من قيلهم على ما قالوا، من الجنّات الّتي هم فيها خالدُون، جزاء كُلّ مُحسنٍ في قِيله وفِعله"[1]، وهذه الآية نتيجةٌ، وتلك الآيات سببٌ، ولا يخفى ما بين السّبب والنّتيجة من تماسُكٍ وعدمِ انفصالٍ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَأَثَٰبَهُمُ﴾: فعلٌ مُتعدٍّ بالهمزة، أصلُهُ من (ثَوَبَ) الفعل الثّلاثيّ منه (ثَابَ) حصل فيه إعلالٌ[2]، ومعنى ثابَ في أصله اللُّغويّ "عاد ورجع إلى موضعه الَّذي كان أَفضَى إليه"[3]، "والثَّواب ما جُوزي به الإنسانُ على فعله من خير أَو شرّ"[4].

2) ﴿جَنَّٰتٖ﴾: جمعٌ بالألف والتّاء، مُفردُه (جَنَّةٌ)، والجذرُ اللُّغويّ منه مُضعّفُ الثُّلاثيّ (جَنَّ) أو (جَنَنَ)، وأصلُ مادّة (جنن) التَّغطية والسَّتر[5]، والجنّةُ البستانُ، سُمِّيَ بهذا الاسم لأَنَّ الشَّجر بورقه يستُرُ[6]، أمّا معناها في الآية، وفي أغلب آيات القرآن، "فالجنّةُ ما يصيرُ إليه المُسلمُون في الآخرة؛ وهو ثوابٌ مستُورٌ عنهُم اليوم"[7].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 1/5120.
(2) الإعلال مصطلح صرفيٌّ معناه التّغيير الّذي يحصل لحروف العلّة، لأسباب معظمها صوتيّة للتّخفيف، كالقلب والحذف والتّسكين، ينظر: ابن الحاجب، الشّافية في علم التّصريف، ص: 94.
(3) الأزهري، تهذيب اللّغة: 15/111.
(4) الأزهري، تهذيب اللّغة: 15/113.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جنن).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جنن).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جنن).

3) ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا﴾: فعلٌ مضارعٌ مَصدرُهُ الجريانُ، وأصلُهُ الانسياحُ للأشياء[1]، وهو هنا انسياحُ الماء تحت أشجار الجنان، و(مِن تَحتِهَا)، لفظُ (تحت): "إحدى الجهات السِّتِّ المُحيطة بالجِرم، تكون مرَّةً ظرفًا ومرَّة اسمًا، وتُبنى في حال الاسميَّة على الضَّمِّ، فيُقال من تَحتُ، وتحت نقيض فوق"[2].

4) ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: والخُلودُ في الجنّة، هو (جَزَاءٌ) على ما كانُوا يعملُون في الحياة الدُّنيا، ومعنى (الجَزَاء) "المكافأةُ على الشَّيء، جزاهُ به وعليه جزاءً وجازاه مجازاةً وجزاءً"[3]، وجزاء اللّه أعظم من عمل الإنسان، وقيل: إنّ الجزاء قد يكون من باب المَثُوبة، وقد يكون من باب العُقوبة[4]؛ والوارد في الآية الكريمة من باب المَثُوبة.

5) ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: الجذرُ اللّغويُّ لهذه اللّفظة (حَسُنَ)، ومنهُ الحُسنُ، وهُو "عبارةٌ عن كلّ مُبهِجٍ مَرغُوبٍ فيه... والحَسَنَةُ يُعبّرُ بها، عن كُلّ ما يسرُّ من نعمةٍ تنالُ الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسّيئةُ تضادُّها"[5].

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

ثـــوابُ الـذيـن آمـنـوا بـالـلـه ورسـولـه الـفـوزُ بـالـجـنّـات، والخلودُ فيها:

يصدُقُ معنَى هذه الآية العامّ على مَن تفوّه بالإيمان، وصدّق بالحقّ، ونطق به من النّصارى الذين آمنُوا بمُحمّدٍ ﷺ، ومَن مَعَهُ كالنّجاشيّ وغيره، وهو المذكُورُ في سبب النُّزُول؛ فكان جزاؤُهُم وعاقبتُهُم، أن أعدَّ اللّه الكريمُ الوهّابُ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهارُ، وهُم مُخلّدُون دائمُون فيها، وهذا ثوابُ المُحسنين منهُم، "وكذلك لا يزالُ يُوجدُ فيهم من يختارُ دينَ الإسلام،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جَرَيَ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (تحت).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (جزي).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (جزي).
(5) الراغب، المفردات: (حسن).

ويتبيّنُ له بُطلانُ ما كانُوا عليه، وهُم أقربُ من اليهود والمُشركين إلى دين الإسلام"[1].

وتُبيّنُ هذه الآيةُ أنّ الله تعالى المُتّصفَ بالعدل، قد أنصف هؤُلاء النّصارى، وجازاهُم على ما كان منهُم من إيمانٍ، وأجابَ سُؤالهُم، وحقّقَ لهُم ما طمعوا فيه؛ وهو طمعٌ مشروعٌ، "وذلك عدلُ الله وفضلُهُ، أنّهُ يمنحُ رضوانهُ وجنّتَهُ لمن آمن بإخلاص، وعمل صالحًا بصدقٍ ويقينٍ، وهكذا مَن خلُص إيمانُهُ، وصدق يقينُهُ يكونُ ثوابُهُ الجنّة"[2]، وفيه آيةٌ وبرهانٌ على أنّ الله تعالى لا يظلمُ مثقالَ ذرّةٍ، وأنّ العدلَ والإنصافَ، هو إنصافُ المرء لنفسه بأن يُذعِنَ للحقّ، ويستجيبَ للإيمان الصّحيح.

مِن عدلِ الله وفضلِه أنّهُ يمنحُ رضوانهُ وجنّتَهُ من آمن بإخلاص، وعَمِلَ صالحًا بصدقٍ ويقين

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

فاء السّببيّة وتَرَتُّبُ الثّواب على العمل:

قولُهُ ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾: يعني جزاهُم اللهُ على إيمانهم، وعلى قولهم المُعبّر عن إيمانهم، وهُو قولُهُم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، والفعلُ مُشتقٌّ من الثّواب، والهمزةُ للتّعدية، فالله هو الّذي أثابهُم، والفاءُ عاطفةٌ أو سببيّةٌ؛ فإنّ سببَ الإثابة مُترتّبٌ على ذلك الإيمان، وهنا قدّم المفعول على الفاعل، وهو ضميرٌ مُتّصل، وهو ممّا يُشعُرُ بالتّخصيص؛ بمعنى تخصيص الإثابة والجزاء الحسن بما قالُوا، وما كان من شأنهم من الإيمان به، وبما أُنزل من الحقّ، ولا يجوزُ أن يكُون جزاؤُهُم بمُجرّد القول، بل لأنّهم آمنُوا، وعرفُوا الحقّ، قال الرّازي: "فلمّا حصلتِ المعرفةُ والإخلاصُ وكمالُ الانقيادِ، ثمّ انضَافَ إليه القولُ، لا جَرَمَ كَمُلَ الإيمان"[3].

كَمُلَ إيمانُ النّصارى حين عرفوا الحقَّ، وأخلصوا، وانقادوا، فنالوا الجنّات:

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 242.
(2) الزّحيلي، التّفسير المنير: 7/12.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 12/74.

بلاغة التّعبير بـ ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ دون (تَجرِي تَحتَهَا الأَنهَارُ):

لقد قرن اللّه تعالى في هذه الآية حرف (مِن)، الدّال على ابتداء الغاية، مع الظّرف (تَحتَهَا)؛ وفي ذلك دلالةٌ بليغةٌ، وهي أبلغُ ممّا لو عبّر بقوله: (تَجرِي تَحتَهَا الأَنهَارُ)؛ لأنّ (مِن) تُفيد ابتداء الغاية، "والأنهارُ مباديها أشرفُ، والجنّاتُ الّتي مبادئُ الأنهار من تحت أشجارها، أشرفُ من غيرها"[1]، ومعنى ذلك أنّ هذه الأنهار، يكونُ مبدؤُها ومنبعُها من هذا المَوضِع؛ أي: تحت الجنان، ولو عبّرَ بقوله: (تَجرِي تَحتَهَا الأَنهَارُ)، فمعنى ذلك أنّها تنبُعُ من مكانٍ آخر، إلّا أنّها تمُرُّ تحت هذه الجنان، ولا شكّ أنّ المَنبع أشرفُ وأطيبُ من غيره.

الجنّاتُ الّتي مبادئُ الأنهار تجري مِن تحت أشجارها أشرفُ من غيرها، ومنظرُها ألذُّ للمُنَعَّمين فيها:

دلالةُ المضارع في ﴿تَجۡرِي﴾:

جاء التّعبيرُ بالفعل المُضارع الدّال على الحال والاستقبال، إشارةً الى أنّ جريانها دائمٌ مُستمرٌّ، وهذا التّعبيرُ عُمومًا هُو أليقُ للمَجزيين بذلك، "فكلُّ مَوضِعٍ ذكر فيه (مِن تَحتِهَا)، إنّما هُو عامٌّ لقومٍ فيهم الأنبياءُ، والموضعُ الّذي لم يذكر فيه (مِن)، إنّما هُو لقومٍ مخصُوصين، ليس فيهم الأنبياءُ ﷺ"[2]، فما أبلغَ هذا الكلام!، وما أحسنَه!.

جريانُ أنهار الجنّات دائمٌ مُستمرٌّ، وهذا نعيمٌ أليقُ وأعظمُ للمُكرَّمين المَجزيين

دلالةُ الإظهار بدَلَ الإضمار في لفظ ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

جاءَ في قوله ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لفظُ (ذَلِكَ)؛ إشارةً إلى ما أُعطِي لهُم من المثُوبة، وهي الجنّاتُ، وذلك المُعطَى هو جزاءٌ من آمن وأحسن العمل، وترقّي في مدارج الإحسان، وقوله (المُحسِنِينَ) المظنُونُ فيه أنّه مِن وضع الظّاهر مَوضع المُضمر، وهو من العادات البيانيّة المُهمّة في لسان العرب؛ وذلك بأن يُورِدَ

من فوائد الإظهار بدَلَ الإضمار ها هنا تأكيدُ الكلام، والثّناء على الذين آمنوا بصفة الإحسان

(1) الإسكافي، درّة التّنزيل: 1/473.
(2) الإسكافي، درّة التّنزيل: 1/473.

المتكلّمُ البليغُ الظّاهرَ ثمّ يُكرّره، والمقامُ مقامُ الإضمار[1]، لأنّه ذكرهُم فيما سبق؛ فيكونُ القياسُ أن يقُولَ: (وذَلِكَ جَزَاؤُهُم)، إلّا أنّهُ وَضَعَ الظّاهرَ مَوضع المُضمر؛ لأمرين: الأوّلُ لزيادة البيان، وتقويّة المعنى وتحقيقه؛ والآخر لِرعايةِ الفاصلة في مواضعها، نحو: (الشَّاهِدِينَ... الصَّالِحِينَ... المُحسِنِينَ).

الفاصلةُ المُتَمَكِّنةُ مُستقِرّةٌ في قرارها، تخدم المعنى أوّلًا، والإيقاع الصّوتي ثانيًا:

ومِنَ المَعلُوم أنّ الآيات القرآنيّة، تنتهي بفواصل مُنسجمة إيقاعيًّا مع الّتي قبلها؛ لتأثيرها في النّفس، على أن لا تكُون الفاصلةُ وحدها المُرتكزَ المُعوّلَ عليه، بل ينضَمُّ إليها المعنى، فيَعضُدُها لتحقيق ذلك، شريطة أن تكُونَ الفاصلةُ "لائقةً بما تقدَّمَهَا من ألفاظِ الجُزءِ من الرّسالةِ، أو البيتِ مِنَ الشِّعرِ؛ وتكُونَ مُستقرّةً في قرارها، ومُتمكّنةً في مَوضِعها؛ حتّى لا يَسُدّ مَسَدَّهَا غيرُها"[2]. هذا، ولا تكونُ الفاصلةُ وحدها مُنفردَةً بهذه الميزات، بل بتضامٍّ المعنى والسّياقِ معها.

(1) الكفويّ، الكليّات، ص: 136.

(2) العسكريّ، الصّناعتين، ص: 448.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»